مجموعة العمل المعنية بمناهضة ختان البنات
مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان

التشويه الجنسى للإناث (الختان)
أوهام وحقائق

د. سهام عبد السلام

صدر هذا الكتاب
بتصريح من اللجنة القومية
للمنظمات غير الحكومية
للسكان والتنمية

اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية

"مجموعة العمل المعنية بمقاومة ختان الإناث"

لماذا تكونت مجموعة العمل المعنية بمقاومة ختان الإناث؟

تكونت هذه المجموعة فى مصر مؤخرا ، تحت مظلة اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية ، بهدف مجابهة عادة ختان الإناث التى أصبحت لها أبعاد قومية ودولية.

الانتهاك البدنى للإناث عن طريق الختان عادة تقليدية لها جذور عميقة فى العادات والتقاليد المصرية قبل انتشار المسيحية والإسلام . وهى تمارس الآن فى مصر بشكل واسع بين المسلمين والمسيحيين على السواء . وفى عصرنا هذا تزداد أصوات من الرجال والنساء إدانة لهذه العادة التى لها أثر مدمر على النساء والأطفال و يعمل العديد من الناس للقضاء عليها.

وفى مصر، عملت عدد من الهيئات غير الحكومية للقضاء على هذه العادة ، مثلا جمعية تنظيم الأسرة فى القاهرة بدأت حملة ضد ختان الإناث منذ سنة ١٩٧٩ عن طريق حلقة دراسية سميت "الانتهاك البدنى لصغار الإناث" . وقد أدى تطبيق توصيات هذه الحلقة فى النهاية إلى إقامة الجمعية المصرية للوقاية من الممارسات الضارة بصحة المرأة والطفل .

وفى ١٩٩٠ أدانت الاتفاقية العالمية لحقوق الطفل ممارسة ختان الإناث على إنها تعذيب وانتهاك جنسى للطفلة . كما أن جمعية الصحة العالمية السادسة والأربعين تبنت قرارا فى ١٩٩٢ ينص على القضاء على الانتهاك البدنى للإناث وعلى العادات التقليدية الضارة الأخرى. كما أن هناك هيئات مثل اللجنة الإفريقية للقضاء على الممارسات الضارة بصحة النساء والأطفال تعمل جاهدة لتوجيه الاهتمام لهذه القضية بغية التخلص منها. وبما أن هناك عددا من العوامل الثقافية والاجتماعية التى تساهم فى استمرار هذه الممارسة ، لذا يكون من الأفضل تناولها على المستوى القومى بمشاركة النساء من المجتمع المحلى ومجموعات العمل التنموى والمجموعات المتخصصة مهنياً .

أثبتت البحوث التى ذكرتها د . ناهد طوبيا (١٩٩٣) أن اثنين مليون فتاة فى العالم يتعرضن للانتهاك البدنى كل عام عن طريق ختان الإناث، الذى يتضمن قطع و إزالة أجزاء كبيرة من الأعضاء التناسلية للأنثى. هذه العادة منتشرة فى شرق و غرب أفريقيا (على الأقل حوالى ٥٠٪ فى بنين ، بوركينا فاسو، جمهورية إفريقيا الوسطى ، تشاد ، ساحل العاج ، جيبوتى ، إثيوبيا ، جامبيا ، غينيا- بيساو ، كينيا، ليبريا ، مالى ، نيجيريا ، سيراليون ، الصومال ، السودان ، و توجو) ، هذه العادة متوارثة أيضاً فى مناطق عديدة من آسيا والشرق الأوسط (مثل مصر ، الهند ، و اليمن) ، و برغم عدم وجود دراسات على المستوى القومى فى مصر ، إلا أن هناك بعض المشروعات البحثية المحدودة قد وجدت أن ممارسة هذه العادة تنتشر بنسبة ٨٠ ٪ على الأقل.

ونتيجة للمناقشات الموسعة التى دارت حول أضرار هذه العادة السيئة ، قبل وبعد المؤتمر العالمى المعنى بالسكان والتنمية ، القاهرة ١٩٩٤ ، تكونت مجموعة عمل متعددة الاتجاهات من المنظمات غير الحكومية ، ومن أطباء ، علماء اجتماع ، أساتذة جامعات ، ومسئولين حكوميين ، وسميت مجموعة العمل المعنية بمقاومة ختان الإناث وهدفها:

"القضاء النهائى على عادة الانتهاك البدنى للإناث حيث ثبت أنها ضارة بصحة المرأة والطفل جسدياً، ونفسياً ، وجنسياً"

هذه المجموعة تعمل من خلال لقاءات شهرية مفتوحة يدعى إليها جميع المهتمين بهذا الموضوع للمشاركة بآرائهم وللعمل فى مجالات محددة من خلال ثلاث مجموعات فرعية هى:

١ - مجموعة العمل من أجل التأثير على صانعى القرار

المنسقة: د. عزيزة حسين

رئيسة اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية

٢- مجموعة الدراسات والبحوث

المنسقة: د. مواهب المويلحى

جمعية تنظيم الأسرة بالقاهرة

٣ ـ مجموعة العمل على مستوى المنظمات غير الحكومية

المنسق : د. مجدى حلمى

كاريتاس – مصر

المنسقة العامة لمجموعة العمل المعنية بمقاومة ختان الإناث

السيدة / مارى أسعد: جمعية حماية البيئة من التلوث

مساعدة المنسقة العامة لمجموعة العمل المعنية بمقاومة ختان الإناث

الآنسة / داليا نبيل الطيب : من فريق العاملين بمكتب اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

* هو هيئة علمية وبحثية وفكرية تستهدف تعزيز حقوق الإنسان فى العالم العربى .. ويلتزم فى ذلك بكافة العهود والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان . ويسعى لتحقيق هذا الهدف عن طريق الأنشطة والأعمال البحثية والعملية والفكرية بما فى ذلك البحوث التجريبية والأنشطة التعليمية.

* يتبنى المركز لهذا الغرض برامجاً علمية وتعليمية ، تشمل القيام بالبحوث النظرية والتطبيقية، وعقد المؤتمرات والندواتوالمناظرات والحلقات الدراسية . ويقدم خدماته للدارسين فى مجال حقوق الإنسان ..

* لا ينخرط المركز فى أية أنشطة سياسية ولا ينضم لأية هيئة سياسية عربية أو دولية تؤثر على نزاهة أنشطته ، ويتعاون مع الجميع من هذا المنطلق.

مجلس الامناء

ابراهيم عوض	مصر	أحمد عثمانى	تونس
أسمى خضر	الأردن	السيد ياسين	مصر
آمال عبد الهادى	مصر	سحر حافظ	مصر
عبد الله النعيم	السودان	عبد المنعم سعيد	مصر
عزيز بو حمد	السعودية	غانم النجار	الكويت
فاتح عزام	فلسطين	فيوليت داغر	لبنان
محمد أمين الميدانى	سوريا	هانى مجلى	مصر
هيثم مناع	سوريا		

مستشار البحوث

د. محمد السيد سعيد

مدير المركز

بهى الدين حسن

إهداء

إلى ذكرى أمي سنية مرخا وأبي عبد السلام الدابي، اللذين حافظا على سلامة وكرامة بناتهما، راجية أن يكونا قدوة لكل الأمهات والآباء.

سهام

شكر وعرفان

أتجه بالشكر إلى جميع النساء والرجال الذين أبدوا رغبتهم فى الإطلاع على رأى العلم فى قضية التشويه الجنسى للإناث المعروف باسم الختان ، وإلى كل أساتذتى وزملائى بمجموعة العمل المعنية بمناهضة ختان الإناث ، الذين راجعوا المخطوط الأول لهذا الكتيب و أفادونى بملاحظاتهم الثمينة. و أخص منهم بالثناء الأستاذة مارى أسعد، و د. آمال عبد الهادى، كما أخص بالشكر أستاذى أ.د. عزيز خطاب الذى تتلمذت على يده فى علم الجنس وعرفت بفضله الأساس النظرى الذى دعم موقفى المناهض لختان الإناث ، وكم أشعر بالعرفان لأستاذى د . حسن حسنى محمد ذكى أخصائى الجراحة ومدير المستشفى الذى عملت به فى باكورة حياتى العملية ، الذى علمنى أن من واجبى أن أبلغ الشرطة نيابة عن أى فتاة مصابة من جراء الختان باعتبارها ضحية اعتداء جنائى ، وأن العدوان يكون أفدح لو أرتكبه طبيب لأنه يكون انتهاكا لآداب المهنة. وأخيرا وليس أخرا أشكر زميلاتى وزملائى بمركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان لتشجيعهم لى على إنجاز هذا الكتيب ومعاونتهم فى إخراجه فى أفضل صورة ، وأخص بالشكر الآنسة منال الطيبى التى تولت متابعة طباعة وإخراج الكتيب.

سهام عبد السلام

القاهرة، فى ١٨ مارس ١٩٩٦

مقدمة

هذا الكتيب هو باكورة انتاج قوة العمل المعنية بمقاومة ختان الاناث من أجل توفير المواد الضرورية للعاملين الميدانيين و المهتمين من غير المتخصصين بقضية الانتهاك البدنى للإناث المعروفة باسم ختان الإناث. و هو تلبية لإحتياج أكد عليه المشاركون في ورشات العمل التى نظمتها قوة العمل على مدى عام ١٩٩٥ لمختلف المنظمات غير الحكومية من الصعيد الى وجه بحرى.

و الكتيب نتاج جهد دءوب لإحدى عضوات قوة العمل المعنية بمقاومة ختان الاناث هى الزميلة العزيزة د.سهام عبد السلام الباحثة بمركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان. و هى ليست مجرد باحثة جادة ودقيقة وملتزمة بالبحث عن الحقيقة العلمية مهما كلفها ذلك من جهد ، و لكنها أيضا إحدى النشيطات البارزات فى مجال مقاومة ختان الإناث ، أعدت دراساتها الخاصة ، و حرصت على حضور كل ورشات العمل التى نظمتها قوة العمل ، و انصتت فيها الى ملاحظات و تساؤلات المشاركين فى ورش العمل ، وتناقشت معهم فى صبر و دأب و في النهاية تطوعت باعداد مادة هذا الكتاب لتكون عونا لكل المهتمين بهذه القضية.

و انني إذ أنتهز هذه الفرصة لشكر د. سهام عبد السلام ، فانني أقدم الشكر أيضا لجميع الزميلات والزملاء في قوة العمل الذين ساهموا بملاحظاتهم النقدية في تطوير مادة الكتاب ، و إلى مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان الذى وفر لـ د. سهام الوقت والموارد لجمع المادة العلمية و إنجاز مادة الكتاب، وأخيرا الى مؤسسة فورد وبشكل خاص السيدة جوسلين ديونج للدعم المادى والمعنوي الذي تقدمه دائما لكل جهود قوة العمل

ماري أسعد المنسقة المساعدة

قوة العمل المعنية بمقاومة الانتهاك البدنى للاناث

التشويـــه الجنسي للإناث
المعروف باسم الختان

مدخل :

واجهتني مشكلة ختان الإناث كثيرا في مجال عملي بالطب سواء في الريـف أو في الحضـر . كنـت أتألم كلما استدعيت إلى الاستقبال لإسعاف فتاة حملها ذووها بمضاعفات حـادة إثـر عمليـة ختـان، أو كلما حضرت إلى العيادة امرأة تشكو من أعراض يرجح أن يكون سببها المضاعفات الآجلة للختان . لم أكن أكتفي بإسعاف أو علاج المصابات ، بل كنت دائما أسأل . لمـاذا ترتكـب تلـك الخطايـا في حـق المصريات البريئات ؟

كنت أسمع تبريرات التمسك بختان البنات ، وأعرف جيدا كم هـي غـير صحيحـة؛ بحكـم معرفـتي العملية بنفسي و بالكثيرات من غير المختنات ومعرفتي النظرية من خلال دراستي للطب وإطلاعي العام. كنت كغيري من بنات بلدي خاضعة إلى حد ما لثقافة الصمت ، إذ تصورت أن مجرد سـرد معلومـات طبية لكل حالة أواجهها على انفراد كاف على الأقل لإنقاذ بقية بنـات وأخـوات المصابـات ، وكنـت أيضا لا أعرف ما الذي بوسعي أن أفعله أكثر من ذلك. لذا، عندما أتيحت لي فرصـة العمـل الجمـاعي من خلال مجموعة العمل المعنيـة بمناهضـة ختـان الإنـاث بـدأت أشـعر أنـي أضـع قدمـي علـى الطريـق الصحيح، فاليد الواحدة لا تصفق .

ضممت يدي إلى أيدي أعضاء المجموعة من رجال ونساء يجمعنا حبنا لأرض مصـر الطيبـة ورغبتنـا في رفع المعاناة عن نسائها وبناتها : نوارات الديـار ، كمـا بـدأت في تطعيـم معلومـاتي الطبيـة بـالعلوم الاجتماعية ، وتنقلت مع المجموعة وغيرها من المنظمات غير الحكومية في مصر من أقصاهـا إلى أقصاهـا في عدد من ورش العمل ، التقيت فيها بالنساء والفتيات والرجال وتبادلنا حوارا صريحا مثمرا للجميـع، علمني كيف أحسن من قدرتي على معالجة وصياغة ما لدى من معلومـات، كمـا كنـت ألمـح تأثـير مـا

أقول على الناس ، إذ يهز اقتناع البعض بالمبررات التقليدية للختان ، ويهدئ مخاوف البعض من التخلي عنه ، ويؤكد للبعض ممن قرروا عدم ختان بناتهم صحة موقفهم . الخلاصة أن هذه اللقاءات شجعتني على توسيع دوائر الحوار . وما شجعني فيها ما لمسته من بعد الناس عن التزمت وتفتحهم للنقاش ، وتقبلهم لمعطيات العلوم الحديثة، بل وإلحاحهم في طلب المزيد من المعلومات والتفاصيل ومحاولة إعادة النظر في مواقفهم على ضوئها ، يحدوهم في هذا حب أصيل لبناتهم .

لذلك أسعدني أن يطلب مني وضع هذا الكتيب ، عله يكون رسولا بيني وبين عدد أكبر من الناس كي أؤدي الأمانة إلى أهلها.

التعريف بالموضوع

الجانب اللغوي [1] :

تعرف عادة بتر أعضاء التأنيث الخارجية بعدة مصطلحات يرتبط كل منها بمفهوم أو موقف اجتماعي معين :

١. الختان : مصطلح " ختان " مأخوذ من الجذر العربي الفصيح " ختن " ، وهو يدل على قطع جزء من الأعضاء الجنسية ، كما يدل على المصاهرة والزواج ، فالختن هو الصهر .

٢. الطهارة : أما مصطلح " طهارة " أو " طهور " الأكثر شيوعاً بين العامة فهو لفظ عربي فصيح يدل على " النظافة المادية والنقاء المعنوي " .

٣. الخفض : وهو يعنى تشريحيا ما يدل عليه لا اكثر ولا أقل ، أي إزالة تركيب مرتفع للهبوط إلى مستوى اكثر انخفاضاً. أما لغويا فيتضمن أيضا معنى الإهانة والإذلال.

النقد العلمي للمصطلحات الشائعة : كلفت منظمة الصحة العالمية مجموعة من علماء الاجتماع والطب تضم أعضاء من البلدان ذات الصلة بهذه العادة الاجتماعية ببحث مختلف جوانبها تلبية لصوت نساء هذه البلدان اللاتي قررن كسر حاجز الصمت والبوح بمعاناتهن من الآثار الضارة لتلك العملية .

اجتمع هؤلاء العلماء في جنيف في يوليو ١٩٩٥ ، وبحثوا الموضوع من كافة جوانبه ، ووجدوا أن المصطلحات المذكورة عاليه تنقصها الدقة ولا تدل على الطابع الفعلي الضار لتلك العملية . فمصطلح

---

[1] - ابن منظور ، والجزيري

" ختان " يرسخ مفهوم ضرورة اقتطاع جزء من جسد المرأة لتصبح صالحة للزواج والدخول في علاقة مصاهرة ، وهذا يؤكد مفهوماً مغلوطاً لحقيقة الطبيعة الجنسية والاجتماعية للمرأة .

أما مصطلح " طهارة " فيرسخ مفهوماً مغلوطاً آخر عن طبيعة المرأة بوصفها كائناً لا يتمتع بالفضيلة بفطرته ولا بالنظافة بحكم تكوينه .

ومصطلح " خفض " ينبع من الاعتقاد بأن أعضاء التأنيث الخارجية عبارة عن زوائد مرتفعة لابد من التخلص منها أو خفضها .

كل هذه المصطلحات تصف الفعل من وجهة نظر مؤيدي إجراء هذه العملية دون أن تصف آثارها الضارة على النساء .

لذلك اتفقت مجموعة العلماء التي اجتمعت في جنيف على استخدام مصطلح آخر جديد يصف أثر هذه العملية على جسم المرأة ، ولما كان أثرها ضاراً ، وليس لها أي فوائد ، صاغ العلماء المصطلح الجديد وهو " التشويه الجنسي للإناث " . وسوف يشار إلى هذه العملية طوال هذا الفصل بهذا المصطلح الجديد .

ما هو التشويه الجنسي للإناث ؟

هو استئصال جزئي أو كلي لأعضاء التأنيث الرئيسية الظاهرية للفتاة .

يتم ذلك الاستئصال غصباً ، أو بالترغيب بالهدايا أو بالترهيب من النبذ الاجتماعي . وهذه الأعضاء أجزاء سليمة من جسد الأنثى لها وظائف طبيعية هامة . و لم يحدث أن ولدت طفلة بدونها .

أعضاء التأنيث الرئيسية الظاهرية [٢] :

تتكون أعضاء التأنيث الرئيسية الظاهرية من :

١- البظر : وهو عضو حساس يتكون من نسيج إسفنجي قابل للانتصاب ، وهو غني بالأوعية الدموية، يغذيه أساساً الشريان البظرى ، وهو شريان كبير يسرى فيه الدم تحت ضغط شديد وليس بسيطاً كما هو الحال فى الشعيرات الدموية ، وهذا يفسر النزيف الشديد الذي يحدث عند قطع هذا الشريان ، البظر غنى أيضاً بالأعصاب الحسية ، وهذا يفسر الألم الشديد المصاحب لأي إصابة له ،

---

[٢] KHATTAB 1988,KARIM 1995, GUYTAN 1985

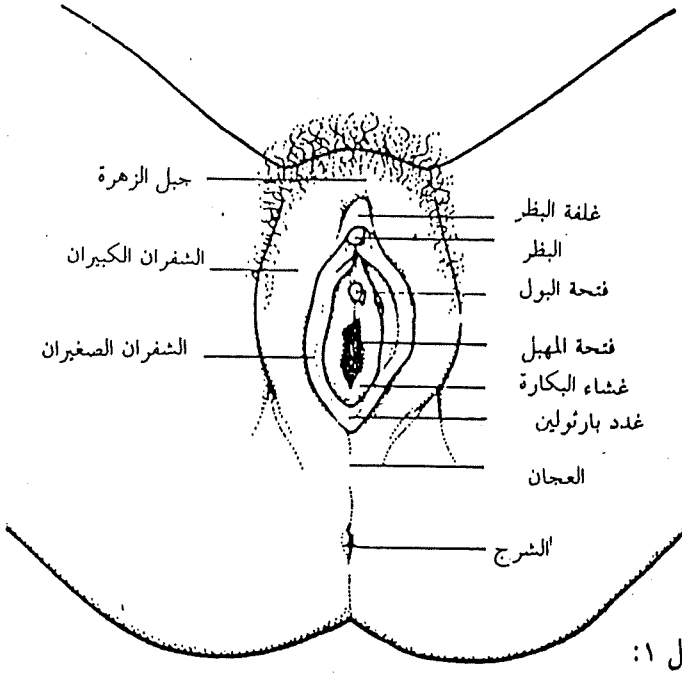

شكل ١: أعضاء التأنيث الخارجية فى حالتها الطبيعية (بدون ختان)

٢- الشفران الصغيران : هما ثنيتان من جلد رقيق غنى بالأوعية الدموية والأعصاب بينهما طبقة رقيقة من نسيج إسفنجي قابل للانتصاب ، وهما يحيطان بجانبى الفرج داخل الشفرين الكبيرين ، ويتحدان معاً من الخلف والأمام ، يسمى اتحاد الشفرين الصغيرين الأمامى باسم غلفة البظر وهى تركيب حساس وظيفته حماية البظر من اللمس المباشر أثناء المباشرة الجنسية لأن اللمس المباشر عندئذ يسبب ماً وضيقاً لهذا لا ينتصب البظر بزيادة فى بروزه كما يحدث لقضيب الذكر، لكنه ينتصب بزيادة محيط قطره، ثم يتراجع مختفياً تحت غلفته فى اللحظات التى تسبق الوصول إلى الذروة مباشرة ، لتصل المرأة إلى الإشباع الجنسى دون عناء، ثم تعود كل الأعضاء الجنسية الظاهرة إلى الحالة التى كانت عليها قبل البدء فى ممارسة الجنس . يعمل الشفران الصغيران أيضاً على حماية بقية مكونات الفرج ومدخل المهبل، ويساعدان على توجيه تيار البول إلى الخارج وبعيداً عن الجسم .

٣- الشفران الكبيران : وهما ثنيتان من الجلد بينهما نسيج دهنى ، يغطيهما الشعر من الخارج ، وسطحهما الداخلى أملس واكثر رقة ، وهما يغلفان بقية الأعضاء والفتحات البولية والتناسلية ويحميانها من الإصابة . فى مرحلة الطفولة يكون جسم الطفلة عموماً غير مكتنز بالدهن ، لذلك قد لا يغطى الشفران الكبيران البظر والشفرين الصغيرين تماماً ، وهذا وضع طبيعى لا يدعو للقلق ، ومع

البلوغ يترسب الدهن فى عدة أماكن من جسم الفتاة، ومنها الشفرين الكبيرين فيغطيان التركيبات الداخلية للفرج مع اكتمال نموهما فى سن ١٦ - ١٨ سنة .

فسيولوجيا الجنس عند الأنثى:

توجد بالمخ مراكز مسئولة عن إثارة الرغبة الجنسية وتصعيدها إلى مستوى الاستثارة والاستعداد لممارسة الجماع، أو تثبيطها وإنهاء الاستعداد للاستجابة أو تأجيله .

توجد هذه المراكز فى منطقة تسمى القشرة الحرفية وهى المسئولة عن التحكم فى السلوك، وتتصل بمراكز المخ العليا حيث تختزن فى الذاكرة خبرات التعلم والتنشئة الاجتماعية ، كما تتصل بمراكز الحواس والانفعالات ، فإذا كانت الظروف مواتية انفعالياً واجتماعياً وتمت الاستثارة الجنسية، يرسل المخ إشارات لبقية الجهاز العصبى الذى يتحكم فى الأوعية الدموية، فيحدث احتقان بالأعضاء الداخلية للحوض ، وبالأعضاء الجنسية الخارجية ، التى يأتى هنا دورها وهو الانتصاب وإيصال المرأة للإشباع الجنسى الذى ينتهى بذروة العملية الجنسية المعروفة باسم هزة الجماع Orgasm ، وهى ضرورية لتنبيه الجهاز العصبى لإعادة الدورة الدموية بالحوض والجهاز التناسلى إلى وضعها الأول، فينصرف الاحتقان الداخلى ، وترتخى الأعضاء المنتصبة، وتشعر المرأة براحة جسدية ونفسية .

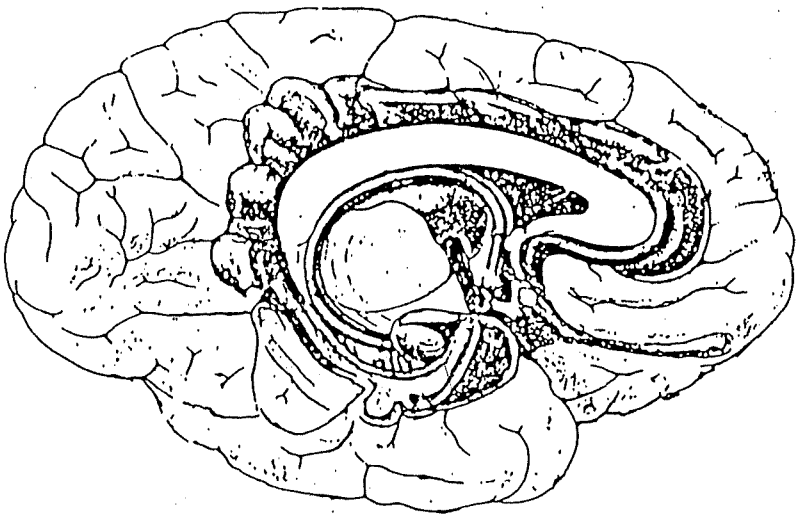

شكل ٢ : القشرة الحرفية بالمخ
مركز التحكم فى السلوك الجنسى

درجات التشويه الجنسي للإناث [٣]

لا تتبنى كل المجموعات البشرية نفس النوع من التشويه ، إذ تختلف درجته وشدته من مجموعة لأخرى ، حتى داخل حدود نفس البلد .

ففي مصر مثلاً نجد التكميم أو الرتق (غلق الفرج) **Infibulation** كلما اتجهنا جنوباً ، بينما يمارس أهل الوجه البحري أنواعاً مختلفة من بقية الدرجات . ورغم أن لكل الأنواع مضارها إلا أن العلماء رأوا تقسيم التشويه الجنسي للإناث إلى درجات حسب كمية الأنسجة والأجزاء التي تقتطع ليتسنى خدمة كل امرأة على حدة حسب ما تعرضت له ، وتوعية كل مجتمع على حدة بما يناسبه من معلومات دون تهوين أو تهويل، وهذا يزيد من مصداقية رواد الخدمة الاجتماعية والصحية لدى الناس، فينصتون لهم ويفكرون فيما يطرحونه عليهم من معلومات .

صنفت المجموعة العلمية الاستشارية لمنظمة الصحة العالمية المجتمعة في جنيف في يوليو ١٩٩٥ التشويه الجنسي إلى الدرجات التالية :

١. الدرجة الأولى : وتشمل إزالة غلفة البظر مع جزء منه أو مع البظر كله .

٢. الدرجة الثانية : وتشمل قطع البظر مع جزء من الشفرين الصغيرين أو معهما بأكملهما .

٣. الدرجة الثالثة : وتشمل قطع الأعضاء الجنسية الخارجية كلياً أو جزئياً ، ثم خياطة الفرج تماماً مع ترك فتحة صغيرة لخروج البول ودماء الحيض وتضييق فتحة المهبل ، وتسمى هذه الدرجة بالتكميم أو الرتق أو غلق الفرج **Infibulation** .

٤. أصناف أخرى من التشويه :

أ . شق الجدار الخلفي للمهبل .

ب . كي البظر والأنسجة المحيطة به بواسطة أداة صلبه محماه.

جـ . وخز البظر أو الشفرين الصغيرين أو شقهما .

د . كحت بطانة المهبل (جيشيرى) أو عمل شقوق بها (أنجوريا) [٤].

---

[٣] - WHO, 1995

[٤] – هذه الأنواع الغريبة علينا أتت خلاصة دراسة العادات المختلفة فى شتى انحاء العالم ، وذكرتها المجموعة العلمية المذكورة لتؤكد ادانتها لكل اشكال التشويه الجنسى للمرأة التى نعرفها نحن والتى لا نعرفها.

هـ . شق الجدار الخلفي للمهبل.

و . مط البظر أو الشفرين الصغيرين .

ز . وضع مواد أو أعشاب كاوية في المهبل .

حـ . أي أشكال أخرى من هذا القبيل .

أضرار التشويه الجنسي للإناث *

تنقسم الأضرار النفسية والجسدية والاجتماعية للتشويه الجنسي للإناث إلى أضرار عاجلة وأضرار آجلة أو بعيدة المدى ، كما أن هناك أضراراً مشتركة بين جميع الأنواع ، وأخرى خاصة بكل نوع على حدة .

المضاعفات والأضرار الجسدية العاجلة

هذه المضاعفات مشتركة تحدث في كل الأنواع بدرجة أو بأخرى ، ونادراً ما تحدث كلها لإحدى الفتيات ، إلا أن الأكثر شيوعاً هو حدوث بعض هذه المضاعفات لكل فتاة تعرضت لتلك العملية .

يبدأ حدوث هذه المضاعفات أثناء إجراء عملية التشويه ، وتستمر بعدها لفترة تتراوح بين عدة ساعات وبضعة أسابيع ، لكن متوسط استمرارها ٧ - ١٠ أيام .

١. **النزيف** : و سببه غنى هذه الأنسجة بالأوعية الدموية ، وقد يكون النزيف بسيطاً ويمكن إيقافه أما بوسائل بدائية مثل البن المطحون أو تراب الفرن كما يحدث في بعض المنازل ، أو بخياطة الأوعية النازفة أو كيها في المستشفى وكل هذه الوسائل مؤلمة . في حالات أخرى يكون النزيف شديداً لإصابة الشريان البظرى الذي يندفع منه تيار الدم تحت ضغط شديد ، وقد يصعب إيقافه ويودى إلى الوفاة .

---

* - ذكرت هذه الأضرار والمضاعفات فى عدة مراجع وتدعمها الملاحظات الأكلينيكية لكاتبة هذه السطور .من هذه المراجع :

HKATTAB 1988 , TOUBIA 1993 , KOZO THOMAS 1992 , MCLEAN 1980, ASSAAD 1980 , DORKEENO 1994

٢. **الألم** : وسببه غلى الأنسجة المصابة بالنهايات العصبية الحساسة لذلك يكون الألم شديداً . حتى في حالة التخدير قبل التشويه تشعر الفتاة بالألم فور انتهاء مفعول المخدر ، علاوة على أن التخدير الموضعي بالحقن في هذه الأنسجة عملية مؤلمة في حد ذاتها .

٣. **الصدمة العصبية** :وهى رد فعل الجسم للألم والنزيف وأعراضها انخفاض شديد بضغط الدم وحرارة الجسم وإغماء ، وقد يمكن إنعاش الفتاة بوسائل طبية قد تصل إلى عملية نقل دم، أو قد تتوفى .

٤. **متاعب بولية** : تشعر الفتاة المصابة بألم شديد عندما يمس البول الحمضي الجرح، وقد يؤدى الألم إلى احتباس البول، كما قد يحدث هذا الاحتباس من تهيج و تورم الأنسجة المصابة حول فتحة مجرى البول. ويترتب على احتباس البول آلام شديدة اسفل البطن ، وتكاثر الميكروبات في البول الراكد المتجمع بالمثانة (لا سيما في حالة حدوث التهابات بموضع التشويه كما يحدث كثيراً) ، يؤدى ذلك إلى التهاب بالمثانة ، ربما يتطور ويمتد إلى الحالبين والكليتين .

٥. **إصابة أعضاء مجاورة** : مثل فتحة مجرى البول أو المهبل .

٦. **إعاقة حركية** : تمنع الفتاة من التنقل وممارسة حياتها الدراسية واللعب لمدة تتراوح بين أسبوع وشهر.

٧. **إصابات بالعظام والمفاصل** : سجلت بعض هذه الحالات التي قد تصل إلى كسر بعظام الترقوة أو الذراعين أو الفخذين عند الضغط العنيف على عظام طفلة صغيرة بأيدي من يكبلونها .

٨. **التهابات حادة بموضع التشويه** : فالجرح في مكان حساس كهذا عرضة للتلوث ، أما بسبب استخدام أدوات ملوثة ، أو أشياء ملوثة لإيقاف النزيف ، أو لأن المنطقة عموماً قريبة من فتحة الشرج وأي جرح فيها عرضة للتلوث بالبكتريا القولونية . قد تعالج هذه الالتهابات وتشفى أو تترك آثاراً مزمنة ، وقد تتفاقم وتحدث غرغرينا بالفرج ، أو قد تغزو الميكروبات الدم وتسبب التسمم الدموي ، وهو أحد أسباب وفاة الفتيات من جراء تشويه أعضاء التأنيث لديهن .

الأضرار الجسدية الآجلة للنوعين الأول والثاني :

١. تشوه أعضاء التأنيث الأساسية الخارجية: يتراوح هذا التشوه مابين وجود ندبة مكان القطع ، إلى التصاقات مختلفة بالأنسجة .

٢. ندبات مؤلمة: قد تكون الندوب المذكورة مؤلمة عند اللمس فتسبب ألماً عند الجماع .

٣. أورام مكان القطع : قد تكون أوراما عصبية متولدة من نهايات الأعصاب المكشوفة وتكون مؤلمة، أو قد تكون تكيسات مكان ندبة الجرح . قد تصل هذه الأورام إلى حجم البرتقالة وتستدعى جراحة لإزالتها.

٤. خراريج مزمنة مكان الندوب : لاسيما في حالة وجود التصاقات أو في الجروح التي أصيبت بالتلوث فور إجراء التشويه .

٥. حدوث قرح مزمنة مكان الجرح .

٦. التهابات مزمنة بالمسالك البولية والكلى : قد تمتد الالتهابات الموضعية المتكررة إلى المسالك البولية والكلى ، لا سيما في حالة وجود التصاقات وتليفات كثيرة بموضع التئام الجرح ، وقد تتطور التهابات الكلى إلى فشل كلوى وارتفاع بضغط الدم .

٧. يؤدى قطع الشفرين الصغيرين إلى الحرمان من وظيفتهما في توجيه تيار البول بعيداً عن الجسم ، كما يحرم البنت من وظيفتهما في حماية مدخل المهبل من غزو الجراثيم ، لا سيما في طور الطفولة والمراهقة .

٨. قد تمتد الالتهابات الموضعية مع نقص حماية مدخل المهبل إلى المسالك التناسلية ، وقد تسبب العقم.

٩. احتقان مزمن بالحوض في الحالات التي لا تصل إلى الإشباع الجنسى وأعراضه الآم مزمنة بأسفل البطن ، وآلام شديدة بالظهر .

١٠. آلام عند الجماع : وتحدث عند وجود واحد أو اكثر من الأضرار السالفة الذكر .

١١. الندوب التي يلتئم بها الجرح عبارة عن نسيج ليفى لا يتمدد مثل النسيج الطبيعى المطاط الذى تم قطعه ، لذلك يحدث أحياناً أن يتمزق هذا النسيج الليفى أثناء نزول رأس الجنين في عملية الولادة وينزف مكان الندبة .

١٢. مخاطر ومضاعفات أي جرح عموماً مثل التيتانوس في حالة تلوث الجرح بهذا الميكروب ، أو الالتهاب الكبدى الوبائي أو الإيدز في حالة استخدام أدوات ملوثة مثلما قد يحدث في " الطهارة الجماعية " لبنات أسرة أو جيران معاً ، لا سيما أن الغليان لا يقتل فيروس التهاب الكبد الوبائي .

الأضرار والمضاعفات الآجلة للنوع الثالث

قد تحدث هذه المضاعفات أيضاً في النوع الثاني لو حدثت التصاقات شديدة مكان الجرح :

١. كل المضاعفات المذكورة في النوعين الأول والثانى قد تحدث أيضاً في النوع الثالث ، بل يزداد احتمال حدوثها فيه ويزيد عليها :-

٢. تكون حصوات خلف الندبة .

٣. احتباس البول و دم الحيض خلف الندبة وتعفنهما مما يزيد من المشكلات البولية والتناسلية واحتمالات العقم .

٤. تورم الندبة .

٥. ضيق فتحة المهبل مما قد يجعل الجماع صعباً .

٦. عسر الولادة ، وقد يضطر الطبيب لتوليد الأم بعملية قيصرية ، كما قد يتأخر نزول رأس الجنين فتتعرض للضغط عليها مما قد يؤدى إلى إصابته بالتخلف العقلي أو الشلل الدماغ أو إلى وفاته .

٧. قد يؤدى ضغط رأس الجنين على جدران المهبل لفترة طويلة في الولادة المتعسرة إلى إصابة الأم بناسور مهبلي - بولي، أو مهبلي - شرجي يؤديان إلى عدم تحكمها في البول أو البراز ، ويستدعيان إجراء جراحة لإصلاحها .

المضاعفات النفسية للتشويه الجنسى للإناث

هذه المضاعفات مشتركة بين جميع الأنواع ، إذ يكفى تعرض الفتاة لعملية تشويه أعضاء التأنيث لديها إلى إصابتها بواحد أو اكثر من هذه المضاعفات حسب درجة وعيها وقدرتها على الصمود للصدمات .

١. القلق : تبدأ الأضرار النفسية للتشويه الجنسى قبل حدوثه ، فما أن تسمع الفتاة بما حدث لأترابها الأكبر سناً حتى ينتابها القلق ، وكلما اقتربت من السن المعتاد إجراء التشويه فيه يتصاعد قلقها ويتحول إلى رعب نفسي قد يصل في بعض الحالات إلى حدوث كوابيس وتأخر دراسي . تزداد حدة هذا القلق كلما كانت الفتاة معتدة بنفسها وبشخصيتها .

٢. صدمة نفسية : حتى الفتيات اللاتي يطمعن في الهدايا والاحتفالات المصاحبة لعملية التشويه الجنسى يجدن أن ما فقدنه لا يقارن بما حصلن عليه ، ويشعرن بأن أحب الناس إليهن قد خانوا ثقتهن بهم ، مما يصيبهن بحزن يظل دفيناً في أعماقهن .

٣. الشعور بالخزى والنقص لدى الفتيات ذوات الاعتزاز بالنفس اللاتي يمنعهن ذكاؤهن من تصديق المبررات التقليدية المروجة للتشويه الجنسى للإناث . ويتزايد ذلك الشعور بتزايد علم الفتاة وثقافتها.

٤. تشويه صورة الذات لدى الفتيات صاحبات الشخصيات الأضعف والأكثر قبولاً للإيحاء ، فيصدقن أن المرأة كائن منقوص العفة بالفطرة .

٥. إنكار المرأة لنوازعها الجنسية ، ويؤدى هذا إلى مشكلات زوجية .

٦. الخوف من الجنس وعدم الشعور بالرغبة في العلاقة الجنسية .

٧. البرود الجنسى ، وتزداد احتمالاته بشدة درجة التشويه وبطبيعة العلاقة بين المرأة وزوجها ، فيتزايد احتمال البرود في حالة الزوج الذى لا يراعى مشاعر زوجته ، ولا يداعب مناطق الاستثارة الجنسية الثانوية لديها ، وأهمها الثديان ، والعنق واسفل البطن وأعلى الفخذين .

٨. في حالة الإحباط الجنسى المتكرر قد يحدث اكتئاب لدى بعض السيدات ، أو قد يدفع ببعضهن للعصبية وإثارة النكد بلا مبرر . وقد تنحرف من لم تحظ بتنشئة اجتماعية قويمة وتبحث عن اكثر من شريك لمحاولة الوصول إلى الإشباع الجنسى الذى ينقصها .

أضرار تصيب الأزواج بسبب تشويه زوجاتهم :

قد يشعر الزوج بالإحباط في حالة إصابة زوجته بمضاعفات تجعل الجماع مؤلماً لها، كما قد يحبطه عدم تجاوبها معه.

أضرار اجتماعية عامة :

١. التخلف الاجتماعي : لأن عدم مواجهة الحقائق العلمية والاعتراف بها والتصرف على هديها ، يعنى أن المجتمع متمسك بالخرافات ، مما يؤخر انضمامه لصفوف العالم المتقدم .

٢. معاناة النساء وإحساسهن بالقهر والمهانة يزيد من التخلف الاجتماعي ، إذ كيف يتقدم مجتمع يعانى نصفه من كل هذه المشكلات ولا يجرؤ حتى على البوح بها ؟

٣. إفساد العلاقة بين الزوجين وما قد يترتب عليه من تعاسة أسرية .

إفساد العلاقة بين المرأة وبين من تسبب في إجراء هذا التشويه لها في طفولتها ، حتى ولو كانوا أو كن من اقرب الأقارب ، إذ تكن لهم أو لهن مشاعر سلبية لا يمحوها الزمن .

الانتشار الجغرافى [٦]

التشويه الجنسى ليس قدراً على عموم نساء العالم ، فمعظم البلدان لا تعرفه ، إذ يمارس كعادة فى حوالى ٢٦ بلداً معظمها فى أفريقيا . وهو ايضاً ليس قدراً محتوماً على كل النساء اللاتى ينتمين إلى بلد معين أو ثقافة أو دين معينين، ففى البلد الواحد تمارسه جماعات دون أخرى . فى مصر مثلاً لا يمارس التشويه الجنسى لدى بدو مرسى مطروح ، بينما يمارسه أهل وادى النيل ، وفى السودان يمارسه أهل الشمال ولا يمارسه أهل الجنوب ، وفى كينيا تمارسه قبيلة الكيكويو ، بينما لا تعرفه قبيلة اللوو .

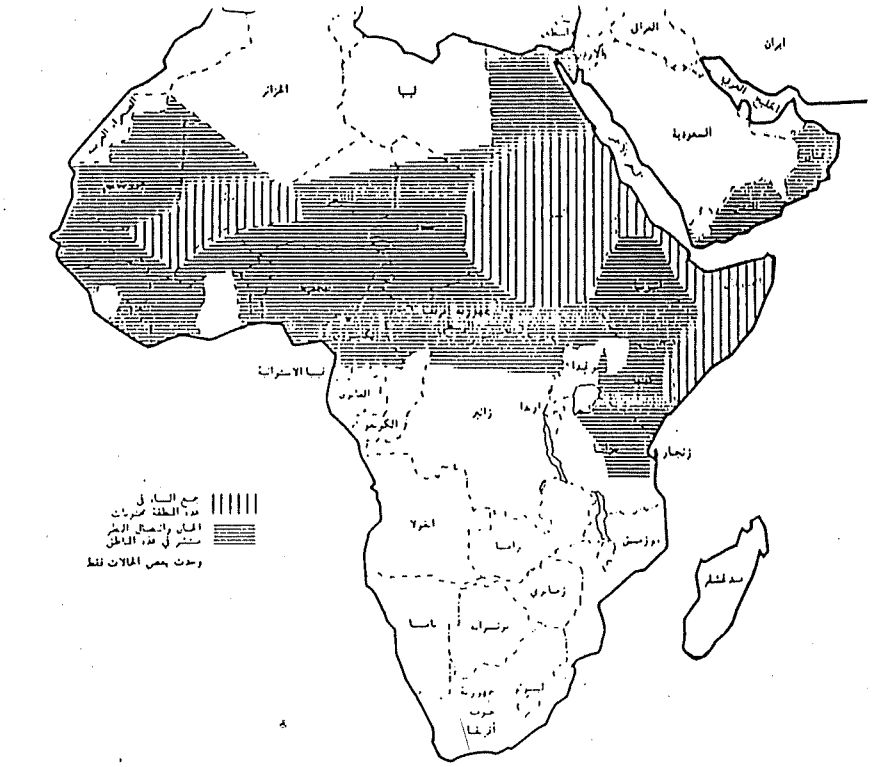

شكل ٣ : الإنتشار الجغرافى لعادة التشويه الجنسى للإناث

[١] MCLEAN 1980 , DORKEENOO 1994 , HASTINGS 1980 , TOUBIA 1993

أما في داخل الثقافة الواحدة فنضرب مثلاً بالعرب ، حيث لا تعرف عادة التشويه الجنسى للإناث إلا في مصر والسودان وبعض مناطق اليمن والإمارات العربية والبلدان الأفريقية التي انضمت حديثاً إلى جامعة الدول العربية ، بينما لا يمارس في بقية أنحاء العالم العربي : الجزيرة العربية ، وبلدان الشام، والعراق ، والكويت ، والمغرب العربي .

فإذا نظرنا إلى التقسيم حسب الانتماء الديني للسكان نجد المسلمين يمارسونه في البلدان التي تمارس فيها تلك العادة فقط بينما لا يمارس على المسلمات في بلدان تضم أغلبية مسلمة مثل تركيا ، وإيران ، والجزيرة العربية.

والطريف أن عادة التشويه الجنسى للإناث تمارس في البلدان الآسيوية التي دخلها الإسلام عن طريق التجارة مع الأفارقة مثل ماليزيا ، بينما لا توجد في البلدان التي دخلها الإسلام عن طريق الجزيرة العربية مثل إيران ، ونظرة واحدة إلى الخريطة المرفقة توضح هذه الحقيقة .

أن عادة التشويه الجنسى بدأت من بؤرة عند منابع النيل وانتشرت منها إلى حزام أفريقي محدود ، ويخف انتشارها وحدة ممارستها كلما بعدنا عن هذه البؤرة .

أما بين المسيحيين فيمارس هذا التشويه أيضاً في البلدان الموبوءة ، بينما لا يوجد خارجها ، في لبنان مثلاً ولا في أوروبا .

يصدق نفس الشيء على اليهود ، إذ يمارس التشويه الجنسى على النساء وسط يهود الفلاشا الإثيوبيين ، بينما لا يمارسه اليهود ذوى الأصول العرقية والجغرافية الأخرى ، فهي إذن ليست طقساً دينياً سماويا، إذ عرفت في تلك المناطق قبول ظهور الأديان السماوية وكانت جزءا من طقوس الأديان الوثنية بها .

البعد الاجتماعي

أ . المبررات التقليدية للتشويه الجنسى للإناث[٧]

امتزج الخوف من المرأة بالنظرة الدونية إليها ليكونا لها صورة غريبة مركبة يراها عليها المجتمع : فهي "ولية ، ضعيفة، مكسورة الجناح " ، لكن " كيد النسا يغلب كيد الرجال " .

---

[٧]- ذكرت هذه المبررات فى عدة مراجع ، ويدعمها ما سمعته كاتبة هذه السطور على ألسنة العامة فى مصر فى الريف والحضر ,DORKEENO 1994 ; ASSAAD 1980 , TOUBIA 1993 , KOZO THOMAS 1992

ويفصل المجتمع بين الأدوار المختلفة للمرأة ليعمق تناقضات صورتها فهي "الأم التي جعل الله الجنة تحت قدميها" لكنها "رمز الغواية". ولكي يطمس المجتمع العناصر التي يخافها في صورة المرأة يلجأ إلى آليات قمعها، ومنها التشويه الجنسي ، وينتحل لها مبررات مغلفة بطبقات من الخرافات تراكمت على مر العصور :

١. التشويه الجنسي طقس من طقوس المرور من الطفولة إلى الأنوثة : يقول العوام : "الطهارة بتخلي البنت تفور " . يكمن الأصل القديم لهذا الاعتقاد في عقيدة عبادة الطبيعة ، حيث كان أتباع هذه العقيدة يؤمنون أن الإنسان يولد خنثى ، وأن اقتطاع جزء من أعضائه الجنسية هو الذي ينقله من هذه الحالة إلى حالة النضج الجنسي كأنثى أو ذكر. وحيث أن هذه القبائل كانت تجري هذه العملية للإناث وهن على مشارف البلوغ ، فقد ربطوا بينهما ربطاً سببياً زائفاً ، وظل الناس يرددون هذا الاعتقاد نقلاً عن الأسلاف دون تمحيص . لتفنيد هذا المبرر لابد من تزويد الناس بالمعلومات العلمية الصحيحة المبسطة عن كيفية حدوث البلوغ في الإنسان ، وضرب الأمثلة بفتيات بقية البلدان غير الموبوءة بالتشويه الجنسي، اللاتي يصلن إلى البلوغ ويتمتعن بصحة موفورة.

٢. التشويه الجنسي يجعل الفتاة أكثر أنوثة : يرتبط هذا المبرر بنفس المعتقدات السابقة ، فيقول الناس أن الفتاة التي لا تمارس عليها هذه العملية تتحول إلى ذكر " البنت تذكر " ، وتبالغ بعض الخرافات فتقول أن البظر لو لم يقطع فسوف ينمو حتى يصل إلى حجم رقبة الإوزة . يكمن تفنيد هذا المبرر في تعريف الناس بحقائق التشريح ووظائف الأعضاء ، وأن النسبة بين حجم الشفرين الكبيرين وبقية الأعضاء تتوازن باكتمال نمو هذين الشفرين وترسب الدهون بهما عند البلوغ ، وان حجم أعضاء التأنيث الخارجية يختلف في حالة الاستثارة الجنسية عنه في غيرها ، بل يوجد تفاوت فردى في حجم هذه الأعضاء ، وكل هذه حالات طبيعية مقبولة .

٣. بناء على الاعتقاد السابق ينتشر العداء لأعضاء التأنيث الرئيسية ، واعتبارها زوائد قبيحة يعتبر التخلص منها تجميلاً . وينعكس هذا في التسمية العامية للبظر والشفرين الصغيرين باسم" الفضلة"، وعلينا تزويد الناس بالمعلومات الصحيحة عن تلك الأعضاء .

٤. الاعتقاد بأن أعضاء التأنيث الرئيسية قذارة لا علاج لها إلا باستئصالها ، ويظهر هذا في تسمية التشويه الجنسي باسم " الطهارة " ، ونعت غير المختونة بأنها " نجسة " ، وتعتقد بعض الجماعات

أن حالة " النجاسة " هذه تجعل المرأة غير صالحة لطهو الطعام ، فأى طعام تطهوه لن يكون لذيذاً ، وحيث أن الزوجة مسئولة عن إطعام الأسرة ، فلابد من بتر هذه الأعضاء النجسة للبنت قبل الزواج ، ويعتقد البعض أن مواطنات المناطق الحارة يتميزن بتضخم أعضائهن واستحالة تنظيفها . ولتفنيد هذا الادعاء يلزم توعية الناس بالأساليب الصحية للنظافة الشخصية بالماء عقب استخدام دورة المياه أو بعد ممارسة الجنس ، والحرص على الاستحمام دورياً بالماء والصابون ، وعلى تغيير الملابس الداخلية يومياً وغسلها ، وأن هذا هو ما يضمن النظافة وليس استئصال أعضاء التأنيث الرئيسية علماً بأن جسد الأنثى في البلدان الحارة لا يختلف عنه في البلدان الباردة ، وأن الزعم بغير هذا يعتبر موقفاً عنصرياً ، وقد ثبت بفحص النساء السليمات في أفريقيا كذب هذا الزعم، كما أن من أجريت لهن هذه العملية يصبن بالتهابات لو أهملن نظافتهن الشخصية، أى أنه لا يوجد ارتباط أصلا بين النظافة وبين وجود أو غياب أعضاء التأنيث.

٥. الاعتقاد بأن البظر عضو خطير ، فبعض الجماعات تعتقد أن وجود البظر لدى الزوجة يجعل الزوج عنيناً ، وبعضها يعتقد أن وجوده يصيب المرأة بالعقم ، ويعتقد البعض الآخر أن البظر عضو قاتل، فلو لمس الزوج أثناء الجماع أو الطفل أثناء الولادة لقتلهما . يكون تفنيد هذا الزعم بتعريف الناس بفسيولوجيا الجنس والإخصاب والوضع لدى الإنسان ، فهذا كفيل بدحض تلك الخرافات .

٦. المحافظة على عذرية الفتاة قبل الزواج وعفتها و إخلاصها لزوجها بعده : وراء هذا المبرر اعتقادان خاطئان : أولهما أن المرأة كائن منفلت بطبيعته ، لا تقدر على تحكيم عقلها وترشيد غرائزها ، وثانيهما أن مركز هذه الغرائز هى أعضاء التأنيث الرئيسية ، فلو لم تقطع تلك الأعضاء لفسدت أخلاق النساء ، وحيث أن شرف الأسرة مرتبط بعفة النساء ، فسوف يحل العار بالمجتمع لو لم تبتر أعضاء التأنيث لنسائه . لابد من مواجهة هذا المبرر بإظهار ما فيه من نظرة دونية مهينة للمرأة ، وتشجيع النساء على رفضها ، وعلى أن يثقن بأنفسهن ككائنات إنسانية فاضلة بطبيعتها، وبقدرتهن على تنشئة بناتهن تنشئة اجتماعية سليمة دون تشويههن ، بحيث يحمى الفتاة اعتدادها بنفسها، وتزويد الناس بمعلومات مبسطة عن مخ الإنسان وانه مركز الغرائز ، وآلية تحكم الإنسان في سلوكه بفضل وجود مراكز عليا تتيح له هذا التحكم ، يستوى هذا في النساء والرجال ، فالمرأة قادرة على اتخاذ القرارات الرشيدة بشأن حياتها الجنسية بنفسها .

٧. معاداة الحياة الجنسية للمرأة : يعلن المجتمع بلا مواربة أن هدفه من تشويه أعضاء التأنيث الرئيسية للفتاة هو قمع رغبتها الجنسية " علشان تبرد " ، والمصيبة أن الرغبة لا تبرد ، لأن مركزها المخ كما ذكرنا ، لكن الذى يضار هو قدرة المرأة على الوصول إلى الإشباع الجنسى دون عناء بسبب حرمانها من الأعضاء التي تقوم بتلك الوظيفة، يفند هذا المبرر كسابقه بالمعلومات الصحيحة عن فسيولوجيا الجنس لدى المرأة ، ومما يذكر أن بعض المراجع قد ذكرت حالات لبعض النساء ممن تعرضن للتشويه الجنسى الذى اثر على قدرتهن على الوصول الى الإشباع الجنسى ، فدفعهن ذلك للدخول في علاقات جنسية متعددة في محاولة للوصول للإشباع ، وهو رد فعل مضاد للهدف الذى يسعى إليه المجتمع " تأكيد العفة " .

٨. التعلل بالدين[٨] : يربط التفكير البدائى بين كل ما يتعلق بالجهاز التناسلى وبين الدين . ظهر التشويه الجنسى قبل ظهور الأديان السماوية ، وهو في الأديان العابدة للطبيعية قربان لآلهة الخصوبة، يدل على هذا طريقة التخلص من الأجزاء المبتورة بدفنها في الأرض أو إلقائها في نهر النيل ، ويدل عليه أيضاً طقس المشاهرة الذى يشمل زيارة إلى نهر النيل ، وارتباط عمليات التشويه الجنسى بموسم الحصاد أو وفاء النيل . وحين يغير الناس دينهم لا يغيرون الطقوس القديمة المرتبطة به بسهولة ، بل يستمرون فيها ويصبغونها بصبغة الدين الجديد . ورغم أن التشويه الجنسى للإناث لم يرد بأى لفظ دال عليه " ختان ، خفاض ، طهارة " في القرآن الكريم ولا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، ورغم أن الأحاديث النبوية التي يتناقلها الناس بشأنه قد اجمع معظم المفسرين والعلماء على ضعفها وعدم حجيتها للتشريع وأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يختن بناته، إلا أن المسلمين والمسيحيين في مصر يمارسون التشويه الجنسى للإناث . يقول المتعللون بالدين من المسلمين انه "سنة"، وحين يفسرون ما هى هذه السنة يقول البعض " قطع طرف البظر " والبعض " قطع البظر كله " والبعض " قطع البظر والشفرين الصغيرين " أى أن كل منهم يقترح ما يمليه عليه مستوى معلوماته وتحيزاته الخاصة، بينما لا يختلفون في السنن الصحيحة. وبينما يتشددون في التمسك بهذه العادة رغم ضعف أسانيدها الشرعية ، نجدهم يتخلون عن عادات أخرى لا ضرر منها ، وردت فيها أسانيد قوية دالة على أنها من السنة ، مثل الاكتحال للرجال وحلاقة الشارب، دون أن يتهم من لا يكتحل أو من يصر على تربية شاربه بمعاداة السنة والدين . يواجه هذا المبرر بنشر الوعى

بالتفسيرات المستنيرة التي تراعى اتجاه الدين نحو رفع شأن المرأة " ما أكرمهن إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم " ، ورفضه لإيذاء الإنسان دون مبرر " لا ضرر ولا ضرار " ، " ولا تبديل في خلق الله " ، والابتعاد عن التفسيرات المتزمتة ، التي تنطلق من العداء للمرأة لا من حب الدين . لقد رأينا مما سبق ما في هذه العملية من أذى ، والأذى ممنوع دينياً فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم " من أذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد أذى الله " .

ب . العوامل الواقعية التي تدفع الناس للاستمرار في التمسك بالتشويه الجنسي للإناث :

والمقصود بها العوامل المادية الملموسة الموجودة في الحياة اليومية الواقعية، إذ تساعدنا معرفتها على وضع استراتيجيات فعالة لتغيير الواقع إلى الأفضل، باستخدام طرق تأخذ في اعتبارها المرأة كشريك كامل في المجتمع وليست على هامشه، كذات فاعلة لها اعتبارها، لا ككمية مهملة تحتل موقع المفعول به .

١. ***التعامل مع الزواج كصفقة اقتصادية :*** يلعب تدنى الوضع الاقتصادي للمرأة ، والفقر عموماً دوراً في هذا العامل ، في ظل هذه الأوضاع تعتمد النساء في معاشهن على الرجال ، والزواج لديهن ليس مجرد علاقة اجتماعية أو عاطفية بل هو مؤسسة اقتصادية ، في ظل هذه الأوضاع تستفيد الأسرة من مؤسسة الزواج اقتصادياً بالتخلص من أحد الأفواه التي تطعمها ، وبالحصول على مهر، وتستفيد المرأة بإيجاد عائل لها . وحيث أن الخرافات التي ذكرت حتى الآن تصور الفتاة التي لا تمر بعملية التشويه الجنسي بأنها غير ناضجة ، غير مكتملة الأنوثة ، غير فاضلة ، قذرة ، فهى تضعها في وضع غير الصالحة اجتماعياً للزواج، يظهر هذا العامل في تسمية العامة للفتاة التي يجرى لها التشويه الجنسي حديثاً باسم "العروسة"، وفي رفض الرجال التقليديين للزواج ممن لم تجر لها هذه العملية .

٢. ***ثقافة الصمت :*** تنشأ النساء على أن من العيب أن تعلن المرأة آلامها ، لا سيما المرتبطة منها بالجنس . بذلك تنكر النساء هذه الآلام سواء التي مررن بها فور إجراء التشويه لهن ، أو التي يعانينها في حياتهن الزوجية من جراء هذا التشويه (راجع الجزء الخاص بالأضرار العاجلة أو الآجلة للتشويه الجنسي للإناث) ، ويكررن ما جرى لهن في بناتهن . علاوة على ذلك ، أدى سياج الصمت المضروب حول الحديث عن هذا الموضوع إلى إحجام السيدات و الفتيات اللاتي لم يجر لهن هذا التشويه الجنسي وأسرهن عن الحديث مع بقية أخواتهن بما يعرفنه معرفة اليقين من عدم ضرورة هذه العملية و أن العفة والنظافة لا ترتبطان بها ، وأن حياتهن تسير في مجراها الطبيعي قبل

الزواج وبعده مع تمتعهن بالسلامة الجسدية بل بلغ الأمر حد جهل أصحاب الموقفين بوجود بعضهما البعض أصلاً ، فمن تخلوا عن ممارسة التشويه الجنسى للإناث صاروا يعتقدون أن مصر كلها قد حذت حذوهم و لم يعد فيها من يمارس هذه العادات ، ومن مازالوا يتمسكون به يعتقدون أن هذه هى طبائع الأمور ، وأنه لا توجد فى مصر كلها امرأة لم تجر لها هذه العملية . وقد كسر حاجز الصمت هذا بعد إثارة الموضوع فى مؤتمر السكان ، وكان من ثماره تشكيل مجموعة العمل المعنية بمناهضة ختان الإناث .

٣. ***الجهل بالحقائق العلمية عن الجنس :*** مازال الجنس من المناطق المحرمة التى يجهلها الكثيرون ، وهذا هو دور جميع مؤسسات التعليم والإعلام ، فالناس أعداء ما جهلوا ، ولو عرفوا الأساس النظرى السليم لتركيب ووظائف أعضاء التأنيث الرئيسية لتشجعوا على إعادة النظر فى بتر هذه الأعضاء من الأنثى .

٤. ***التمييز ضد المرأة ومعاملتها كمتهمة حتى تثبت براءتها :*** يخف أثر هذا العامل كلما زاد التعليم والتثقيف ، وكلما أثبتت المرأة جدارتها فى مختلف نواحى الحياة ، لذلك ينبغى عدم تشجيع الأفكار المعادية للمرأة والمنادية بعزلها عن المجتمع ، وبالعكس ، يجب تشجيع النساء خاصة والمجتمع عامة على مواجهتها .

٥. ***الوظيفة الترفيهية :*** يتيح إجراء التشويه الجنسى فرصة للاحتفال و تبادل الزيارات والهدايا ، لاسيما فى المجتمعات التى لا تتاح فيها للنساء فرصا كافيه للترويح الاجتماعي ، لذلك ينبغى تشجيع الأشكال الأخرى والمناسبات المختلفة للترفيه عن النساء بعيدا عن عمليات التشويه الجنسى ، ولا توجد اقتراحات جاهزة فى هذا الشأن ، إذ يلزم حشد الطاقات الإبداعية للعاملين الميدانيين لابتكار ما يناسب كل مجتمع محلى على حدة .

٦. ***المستفيدون من استمرار هذه الممارسة :*** هناك مستفيدون ماديا من استمرار التشويه الجنسى للإناث ، كالدايات و حلاقى الصحة ، وبعض الممرضات والأطباء ، وقد يمكن إقناع بعضهم بتغيير موقفه بالتوعية ، والبعض الآخر بخلق رأى عام مناهض للختان يشكل قوة ضغط عليهم وعزلهم ، ومازلنا بحاجة لإجراءات إدارية وقانونية رادعة لهم.

جـ . دور النساء فى استمرار عادة التشويه الجنسى للإناث :

من المهم أن نفهم خلفيات هذا الدور كى نعرف كيف نكسب النساء إلى صف مناهضة التشويه الجنسى ، بإشراكهن بدور إيجابي فيه ، يعوضهن عما سيفقدونه لو توقفت هذه الممارسة من سلطات ومن طرق للمساومة الاجتماعية .

رغم أن كل المبررات التى تساق للتشويه الجنسى للإناث تصب فى إرضاء الرجل أو المجتمع الذكورى ، إلا أن معظم من يتخذن قرار إجراء التشويه الجنسى للبنت مباشرة هن الجدات والأمهات ، ومعظم من ينفذنه دايات إناث، ومن يكبلن الفتاة عمات وخالات وجارات . فلماذا ترضى النساء بإيقاع هذا التعذيب بالبنات نيابة عن المجتمع الذكورى ؟

مما يفسر هذا أن قهر المجتمع الذكورى للمرأة يتركز فى فترة خصوبتها ، أما المسنات فلا خوف منهن بعد توقفهن عن الحمل ، فيكتسبن مكانة خاصة فى الأسرة التقليدية توازى الذكور ، ويعهد إليهن بمهمة نقل التقاليد الموروثة إلى الجيل التالى ، وبذلك يتمسكن بذلك النزر اليسير المتاح لهن من السلطة، ويفرضن التشويه الجنسى على شابات الأسرة فى مطلع مراهقتهن ، بناء على تبنيهن للصورة السلبية التى رسمها المجتمع للنساء ، والتى تزيف وعيهن بأنفسهن فيقمن بتصدير القهر للأجيال التالية ظنا منهن أنهن يحسن صنعا بجعل بناتهن على صورتهن ، وكثيرا ما نسمع الأمهات والجدات يرددن تبريرا لإجراء التشويه الجنسى للبنات (لماذا لا يجرى لبناتنا ما جرى لنا ليصرن مثلنا)

تتبنى النساء اللاتى يتمسكن بتلك العادة أيضا بقية ملامح الصورة السلبية التى يرسمها المجتمع الذكورى للمرأة بوصفها (حرمة) سلبية ضعيفة، وتعتبرن صفة (قوية وقادرة) سبة فى حق المرأة ، ولا ترين أن الإيذاء البدنى عموما ضار بالبنت (اكسر للبنت ضلع يطلع لها ٢٤) ، ويرينها غير قادرة على كسب عيشها أو حماية نفسها (خدى لك راجل يبقى لك بالنهار أجير وبالليل غفير)

لابد لنا أذن من رفع قدر المرأة عند نفسها ، وان نقدم لها صورة إيجابية عن نفسها ونشجعها على تبنيها بدلاً من الصورة السلبية التقليدية ، وأن نسلح النساء بالعلم والعمل فلا يرين أنفسهن عالة أبدية على الرجل ويرين أنهن ملزمات بتملق عائلهن هذا واثبات براءتهن لديه حتى بتشويه أنفسهن وبناتهن، وستعود هذه الصورة الإيجابية بالخير على الرجل ، إذ ستبنى العلاقة الأسرية على الحب والتقدير بدلاً من الخوف وسوء الظن .

ما هو واجبنا : كيف نعمل ؟

واجبنا أن نقوم بكل ما فى وسعنا للقضاء على هذا التشويه الجنسى للإناث، ولن يتم لنا ذلك إلا بالتسلح بالمعلومات ، ومنها بل أهمها أن نعرف رد فعل المجتمع لجهود التوعية ، ونتوقعه ، ونعرف كيف نواجهه. إن المجتمع الذى يزدرى الفتاة التى لم يجر لها التشويه الجنسى ويراها نجسة، ويخشى فسادها الأخلاقى، ويحتفل بالتشويه الجنسى كأمر مرغوب فيه سوف يغضب للوهلة الأولى عندما يسمع من يصفون الختان بأنه أذى وتشويه . بعدئذ ، سوف ينكر جانب الأذى فيه ويحاول الدفاع عنه بشتى الحجج والمبررات . وباستمرار جهود التوعية تأتى مرحلة يتولى المجتمع فيها الخوف من هذا الأذى والتفكير فى تجنبه ، لا سيما لو اقتنع بصدق القائمين على التوعية ورغبتهم فى تنمية المجتمع وليس هدمه . علينا فى هذه المرحلة أن نساند المجتمع ليتغلب على هذه الصدمة الأولية الضرورية ويتخطاها ، ويكون ذلك بأن نوضح للناس أننا نصر على مخاطبتهم لأننا نحترم قدرة عقولهم على التمييز بين الخطأ والصواب ، وأخطر ما فى هذه المرحلة أن نتراجع أو نتبنى مواقف متميعة غير متسقة كالموافقة على حلول من نوع اللجوء للأطباء أو إجراء أنواع ابسط من تشويه أعضاء التأنيث ، ولا يفت فى عضدنا ما سنلقاه من هجوم فى هذه المرحلة ، ولا من إصرار المجتمع فى مرحلة غضبه وإنكاره على مخالفة جهودنا ، لأن التراجع معناه خسارة ما حققناه . أما لو أصررنا على المضى قدماً فى جهود التوعية، فسينتقل المجتمع بعد فترة طالت أو قصرت إلى الاعتراف بصحة ما نقول، والاقتناع بمضار التشويه الجنسى للإناث ولأن الاقتناع وحده لا يعنى التنفيذ ، ينبغى ألا يسكرنا النجاح ونتوقف عند هذه المرحلة ، بل لابد من الاستمرار فى

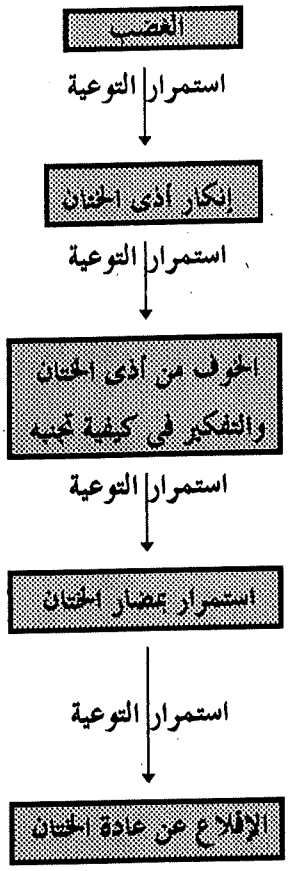

شكل ٤: مراحل رد فعل المجتمع لجهود التوعية ضد الختان

جهودنا حتى نساعد الناس على الوصول إلى المرحلة المأمولة : الإقلاع عن عادة التشويه الجنسي للإناث.

- يواجه من يحاربون التشويه الجنسى للإناث هجوماً أحياناً بدعوة أن هناك أولوية لتنمية المرأة اقتصادياً، لأن هذا هو الذى سيحسن أحوالها وليس منع تشويه أعضائها الجنسية. لكن دون تحرير العقل يصعب تحقيق التنمية الاقتصادية، فما لم يرتفع وعى النساء بذاتهن ويقبلن الدفاع عن حقوقهن لن تتحسن أحوالهن الاجتماعية والاقتصادية يجب أيضاً توعية النساء بأن حقوقهن الإيجابية لا تقف عند حد حق التحكم في الخصوبة ، بل تشمل حق أن تتحكم هى فى جسمها ونوازعها الجنسية بإرادتها العاقلة وأن ترفض أن ينوب عنها المجتمع فى ذلك بتشويه أعضاء تأنيثها ، وأن تتعلم أن تقبل نفسها كامرأة سليمة نظيفة فاضلة بحكم آدميتها لا بحكم حد السكين .

من هذه الحقوق أيضا حق الخصوصية ورفض الدخلة البلدى، وحق المعاملة الإنسانية فى إطار الأسرة ورفض المعاملة العنيفة من الزوج ، كما أن من حقها اختيار زوجها ، وقد تنبه الضمير الشعبى المصرى لأهمية تلك الحقوق، فصور فى أمثاله الشعبية الأثر السلبى لقبول المرأة للإهانة والعنف من زوجها والأثر الإيجابي لرفضها لتلك المعاملة " الراجل اللى يقول لمراته يا عورة الناس يلعبوا بيها الكورة، والراجل اللى يقول لمراته يا هانم الناس يقابلوها على السلالم " . كما صور أهمية احترام حق الفتاة فى اختيار زوجها "لو كنت عايز تصون العرض وتلمه أدى بنتك للى عينها منه" ، "وكل شيء بالخناق إلا الجواز بالاتفاق " .

- من العوامل المساعدة على بلوغ هذا الهدف تشجيع النساء على التعلم ، والعمل ، والمشاركة فى العمل العام وخدمة المجتمع .
- النساء اللاتى تعرضن للتشويه الجنسى بالفعل " وهن الأغلبية " قد يحتجن إلى مساندة نفسية واجتماعية ليتحملن وجودهن الذاتى فى إطار التعريف الجديد للمرأة ورسم صورتها الجديدة ، التى تكون فيها نظيفة طاهرة فاضلة ، مكتملة الأنوثة دون تشويه جنسى ، لأنهن بدون هذه المساندة النفسية يمكن أن يتحولن إلى عامل مناوئ لجهود القضاء على التشويه الجنسى ليحتفظن بصورة جيدة ذاتية لأنفسهن ، فيجب طمأنتهن بأن ما جرى لهن لا ذنب لهن فيه ، وأن هذه الجوانب غير

منقوصة لديهن لأنها لا تعتمد على التشويه الجنسى أو عدمه ، والمقصود بجهودنا أن نؤكد أنها تتوفر بالتربية وحدها دون إيلام البنات أو خلق مشكلات صحية لهن، كما أن اشتراكهن الفعال فى حملات التوعية فيه تعويض نفسى واجتماعى لهن.

- ينبغى أيضاً توفير الدعم الصحى والنفسى والقانونى لمن تعرضن للتشويه الجنسى ليعرفن أن المجتمع لا ينبذهن شخصياً بالدعوة لنبذ ذلك التشويه فيصبحن عاملاً مساعداً لجهود مناهضة الختان، ويمكن للأطباء مساندة هؤلاء النساء بقدر الإمكان بمعالجة ما يكون لديهن من مضاعفات أو عواقب عاجلة أو آجلة لعملية التشويه الجنسى ، وان يعرفهن بأن التشويه الجنسى هو المتسبب فيها لا سيما لو كانت مشكلات توافق جنسى مع الزوج ، أولاً لأن معرفتهن بهذا سيخفف عنهن وطأة الإحساس بأنهن السبب فى عدم التوافق الزوجى وثانيا لأنه سيجعلهن يفكرن فى عدم تعريض بناتهن لهذه العواقب ، ويمكن التخفيف من وطأة هذه المضاعفات بجلسات إرشاد للزوجين معاً و اعطائهما معلومات عن المناطق الجنسية الثانوية لدى المرأة، وتشجيعهما على التعاون للتغلب على هذه الصعوبة ، فلا يأس مع الحياة . يمكن أيضاً أن يجرى الطبيب جراحة لفك الالتصاقات أو ندوب غلق الفرج ، وهذا يساعد المرأة على الحفاظ على نظافتها وصحتها الجنسية ، كما يقلل من المضاعفات التى قد تتعرض لها هى أو وليدها فى حالة تعسر الولادة بسبب هذه الالتصاقات والندوب .
- ولمن تريد اللجوء للقضاء [٩] لاختصام من أجرى لها عملية التشويه الجنسي أن تعرف أن المحامين ذوى العلم بالموضوع قد أفادوا أن هذه الحالة تخضع للمادة رقم ٢٤٠ من قانون العقوبات العام التي تنص على العقاب بالسجن من ثلاث إلى خمس سنوات لكل من احدث بغيره جرحاً أو ضرباً نشأ عنه قطع أو انفصال عضو أو فقد منفعته ..... ، أو نشأت عنه عاهة مستديمة يستحيل برؤها، وأن الأطباء ليسوا استثناء من هذه المادة لأن هذه العملية ضارة وليست لتشخيص أو لعلاج ، كما أن رضى الفتاة لا يعتد به قانوناً إلا لو كانت تعلم العواقب العاجلة والأجلة للعملية . وعند مناقشة قانون الطفل رأى البرلمان أن هذه القاعدة القانونية تنطبق على عملية تشويه أعضاء التأنيث وتكفى لتجريمها فلم يجد ما يدعو للنص على تجريم ختان الإناث فى مادة منفردة ما دام القانون الجنائى

---

[٩] - بهى الدين ١٩٩٥ ، عويس ١٩٩٠

العادى يغطيها بتلك المادة، ويكفى للقصاص للفتاة ممن أخطأوا فى حقها لو تقدمت بشكوى ضدهم[١٠] .

- ينبغى أيضاً مساندة طلائع النساء اللاتى يتشجعن ويرفضن تشويه بناتهن لمواجهة الهجوم الذى قد يتعرضن له وسط مجتمعهن المحلى بسبب موقفهن .
- على رواد ورائدات العمل الاجتماعى تجنيد كل من يمكن أن يقوم بهذا الدور من نساء أو رجال القرية والحى ، وتوجيه الناس لاستشارتهم واستدعائهم لتوعيه الناس .
- يجب توعية الرجال ومناقشاتهم بخصوص موضوع مخاوفهم من النساء التى تجعلهم يطلبون الزواج ممن جرى تشويههن ، و اقناعهم بأن مصلحتهم الشخصية وسعادتهم الزوجية تزداد مع عدم تشويه الزوجة ، وأن هذا يتجاوز مجرد المتعة الجنسية إلى تدعيم رباط الزواج نفسه بتخلص المرأة من الشعور بأنها قد أوذيت فى جسدها ذات يوم لإرضاء الزوج .

القائمون بالعمل الميدانى أنفسهم يحتاجون إلى الدعم بالمعلومات ، وتبادل الآراء والخبرات ، وتنسيق العمل فيما بينهم ، ومساندتهم بعضهم البعض . **إن فتح أذهاننا لحقائق العلم والحياة أحرى بأن يوفر لنا جميعاً ـ نساء كنا أم رجالاً ـ قدراً اكبر من السعادة والقدرة على دفع حياة مجتمعنا نحو الأفضل .**

المصادر :

- الأهرام ، ١٩٩٦/٢/٢٥. فى مجلس الشعب أمس : الموافقة على قانون حماية الطفل من حيث المبدأ.

[١٠] الأهرام ، ١٩٩٦/٢/٢٥ : فى مجلس العشب أمس : الموافقة على قانون حماية الطفل من حيث المبدأ.

- ابن منظور ، لسان العرب . دار المعارف . القاهرة . غير مؤرخ .

- الجزيرى عبد الرحمن : كتاب الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ ، المكتبة التوفيقية . القاهرة

- النجار . فضيلة الشيخ د . عبد الرحمن . موقف الإسلام من ختان الإناث . جمعية تنظيم الأسرة . القاهرة . مشروع صحة المرأة والطفل . القاهرة .

- اسعد . موريس . ختان البنات من منظار مسيحى . الجمعية المصرية للوقاية من الممارسات الضارة بصحة المرأة والطفل . غير مؤرخ .

- العوا . د . محمد سليم . ختان البنات ليس سنة ولا مكرمة . الشعب . ١١ نوفمبر ١٩٩٤ .

- النجار : فضيلة الشيخ د . عبد الرحمن . موقف الإسلام من ختان الإناث . جمعية تنظيم الأسرة . القاهرة . ١٩٨٥ .

- بهى الدين . أميرة . ختان البنات بين التحريم القانونى وهيمنة العادات الاجتماعية ، ورقة قدمت الى ورشة العمل التى عقدتها مجموعة العمل المعنية بمناهضة ختان الإناث فى ٢٥ - ٢٦ مارس ١٩٩٥ بوزارة السكان وتنظيم الأسرة .

- طنطاوى : د . محمد سيد . كلمة عن الإجهاض والختان . الأهرام ٩ أكتوبر ١٩٩٤ .

- عويس . المستشار . صلاح محمود . ختان الأنثى فى ضوء قواعد المسئولية الجنائية والمدنية فى القانون المصرى . الجمعية المصرية للوقاية من الممارسات الضارة بصحة المرأة والطفل . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٩٠ .

- شلتوت، الإمام الأكبر محمود. الفتاوى: دراسة لمشكلات الحياة اليومية للمسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة . دار الشروق . بيروت . القاهرة .

- منصور، الشيخ عبد الغفار. موقف الشريعة الإسلامية من ختان الأنثى. الجمعية المصرية للوقاية من الممارسات الضارة بصحة المرأة و الطفل. القاهرة- ١٩٩٠.

- Asaad, Mary B. Female Circumcision In Egypt: Current Research And Social Implications. Cairo. 1980.

- Dorkenoo, Efua. Cutting the Rose. Minority Rights Publications. London, 1994.

- Hastings, James, et. al.(eds.) Encyclopedia of Religion and Ethics. Vol. III. Clark T&T. Edinburgh, 1980.

- Guyton, Arthur C. Anatomy and Physiology. Founders College Publication. Philadelphia, 1985.

- Karim, Proph. Mahmoud. Circumcision and Mutilations: Male and Female: Medical Aspects. Dar Al Maaref. Cairo, 1995.

- Khattab, Proph. Aziz Ahmed. Human Sexuality. University Book Center. Cairo, 1988.

- Koso-Thomas, Olyanka. The Circumcision of Women: A Strategy for Eradication. Zed Books. London, 1992.

- Kressel, Gideon M. "Shame and Gender". *Anthropological Quarterly*, V. 95, p. 34-46. Jan, 1992.

- McLean, Scilla (ed.) " Female Circumcision, Excision and Infibulation: The Facts and Proposal for Change". Minority Rights Group Report No. 47. London, 1980.

- Toubia, Nahid. Female Genital Mutilation, A Call for Global Action. Women Ink. New York, 1993.

- WHO Meeting of the Technical Working Group on FGM. Geneva, July 1995.

طبع بمطابع روز اليوسف الجديدة